

شعر محمد البشير الإبراهيمي

دراسة إيقاعية لغوية.

أ.سمير جريدي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريرج-

الملخص:

يتناول هذا المقال شعر محمد البشير الإبراهيمي، حيث يشير إلى كل القصائد في مؤلفاته المطبوعة، ويحدد أوزانها التامة و المجزوءة، ويتحدث عن قوافيها متمثلة في حروف الروي الموحدة أو المتنوعة في القصيدة الواحدة، وعن نوعها: مطلقة كانت أم مقيدة، و كل هذا في جداول إحصائية، ثم يحاول تحليل تلك النتائج والعمل على تفسيرها.

كما يتطرق إلى خصائص اللغة التي كُتبت بها تلك القصائد، وأسباب تميزها بذلك.

Abstract:

This article examines the poetry Mohammed Bashir Ibrahim, which refers to all the poems in his writings printed, and determines the full weights and fragmented,also talk about Qoaveha in the form of integrated Rua letters or diverse in one poem, and her types; absolute was or restricted, furthermore all this in the statistical tables, then tries to analyze those results and work to interpret.

It also deals with the properties of the language that is written these poems, and the reasons for this differentiate.

يُعد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889م - 1965م) أحد الرجال الأفاضل، الذين تفخر بهم الجزائر أيم فخر، وتعتز بهم أشد الاعتزاز، فهو - رحمه الله - الشخصية المتعددة الجوانب، فأينما تولى وجهك - في مختلف نواحي العلوم الإنسانية والدينية - في جزائر العصر الحديث، إلا وتجد له فيها مساهمة قلت أو كثرت، فهو الإمام المصلح، والفقيه الأصولي، والمربي الحكيم والسياسي المحنك⁽¹⁾، وإن لم يعرف عنه انتماؤه إلى حزب سياسي بالمعنى الحزبي الضيق، فيكفي أن نذكر للتدليل على بعد نظراته السياسية الثاقبة مقولته الشهيرة: «إن النظام الجزائري نظام اشترى كية»⁽²⁾، فهو يرى أن الاشتراكية التي اختارها نظام الحكم غداة الاستقلال لا يمكن أن تكون صالحة في الجزائر البلد العربي الإسلامي، وأنها «نظام مستورد مشترى ليس فيه صلاح البلاد بل فيه كيتها وإحراقها»⁽³⁾، ولقد أثبتت الأيام صحة رأيه فيما بعد.

وقبل ذلك وذاك فقد كان «أديبا شاعرا، وخطيبا مفوها، يهز القلوب ببيان ساحر، يعيد إلى الأذهان ما كان للخطابة العربية من مكانة وسلطان في عهودها القديمة الزاهرة»⁽⁴⁾، وهو في مجال الشعر «شاعر فحل في الفصيح والملاحون، يذكر بالمعري في

⁽¹⁾ - يراجع: مقدمة الشيخ عبد الرحمن شيبان لمؤلفه: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 2007م، ج 2، ص: 09.

⁽²⁾ - عبد المالك، بومنجل: النثر الفني عند الإبراهيمي، بيت الحكمة، العلمة، سطيف، الجزائر، ص: 32.

⁽³⁾ - المرجع نفسه: ص ن.

⁽⁴⁾ - مقدمة الشيخ عبد الرحمن شيبان لمؤلفه آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، ص: 09.

لزوميائه، وأبى الطيب في حكمه وأمثاله، وشوقي في ملاحمه وبدائع⁽¹⁾.

وفي النواحي التي ذكرنا - قبل قليل - نكتفي نحن بالجانب الأدبي والشعري خصوصاً.

فما ينسب هذا الشعر؟ وما هي البحور المستعملة وغير المستعملة؟ وما نسبة القوافي المطلقة والمقيدة؟ وما هي الحروف المستعملة رويًا؟ وما أسباب ذلك؟ وبماذا تميزت هذه اللغة من خصائص فنية؟.

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية، قسمنا البحث على النقاط الآتية:

I- الإحالة على الأشعار في مصدرها مع إطارها الموسيقي:

1 _ الجداول الإحصائية.

2 - تحليل النتائج:

أولاً: بالنسبة إلى البحور.

ثانياً: بالنسبة إلى القوافي.

II- اللغة:

أ _ الاقتباس من القرآن.

ب _ الفصاحة.

ج _ الألفة والغرابة.

⁽¹⁾ - المصدر نفسه، ص: 10.

د_ شيوخ أسماء الأعلام.

I- الإحالة على الأشعار في مصدرها مع إطارها الموسيقي:

إن الهدف من هذه الإحالة على أماكن التجارب الشعرية للبشير الإبراهيمي، هو تسهيل الرجوع إليها لمن أراد ذلك، وتجنبيه عناء البحث عنها، وأما لماذا أدمج مع هذه الإحالة الإطار الموسيقي، فذلك راجع إلى تجنب التكرار في إثبات كل تجربة شعرية عند تحديد بحرهما وقافيتها.

كما أنني أعتقد أن الحديث عن البحور والقوافي أمر لا مفر منه في الشعر، ذلك أن أهم خاصية تميز الشعر عن النثر هي الإطار الخارجي الموسيقي _ ولا سيما عند القدماء _، و المتمثل في الوزن والقافية، ومن ثم جاء تعريف الشعر عندهم على أنه «قول موزون مقفى يدل على معنى»⁽¹⁾.

وفي بحثي هذا أحاول أن أتبين خصائص كل من الوزن والقافية في أشعار الإبراهيمي، انطلاقاً مما يأتي لاحقاً.

1_ الجداول الإحصائية:

الجزء	الصفحة	عنوان التجربة الشعرية	البحر	القافية:	
				نوعها	روياها
01	413-414	افتراء مستشرق	الرجز	مقيدة، مط لقة (مزدوجة)	متنوع

⁽¹⁾ - قدامة، بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 3،

1979م، ص: 17.

شعر محمد البشير الإبراهيمي دراسة إيقاعية لغوية.....أ.سمير جريدي

متنوع	مقيدة ومطلقة	الرجز	دون عنوان	414	
متنوع	مطلقة	الرمّل	تساؤل نفس	38	02
متنوع	مقيدة ومطلقة	الرجز	رواية الثلاثة	102-65	
متنوع	مقيدة ومطلقة	الرجز	دون عنوان	151-150	
الراء	مطلقة	المتقارب	شكوى العاصمي	279	
الباء	مقيدة	السريع	يا طالب	455	
متنوع	مقيدة ومطلقة	مشطور البسيط	ذكرى 8 ماي	331	03
الباء	مطلقة	الطويل	سكتُ...وقلتُ	427-426	
متنوع	مقيدة ومطلقة	الرجز	الإسلام	485-484	
النون	مقيدة	الرجز	لغة العرب	485	
السين	مطلقة	البسيط	المنابر	485	
النون	مقيدة	محزوء الرجز	سجع الكهان	585-527	
الراء	مقيدة	الرجز	السلطان محمد بن يوسف	585-583	
السين	مطلقة	الرجز	إلى علماء نجد	130-126	04
الراء	مقيدة	الرجز	تعليم البنت	134-131	
الراء	مطلقة	الخفيف	إلى ولدنا الأستاذ عبد الحميد	401	

شعر محمد البشير الإبراهيمي دراسة إيقاعية لغوية.....أ.سمير جريدي

الهاشمي				
402	كلية الأعظمي	الرجز	مطلقة ومقيدة	متعدد
403	إلى ولدي الأديب عمر بهاء الدين الأميري	الطويل	مطلقة	اللام
406-404	إلى الدكتور فاضل الجهالي	الرجز	مطلقة	اللام
407	جمعية	مجزوء الرجز	مطلقة	النون
409-408	الطائرة	الرجز	مطلقة	اللام
410	إن أردت	مجزوء الرملة	مطلقة	اللام
411	إلى الأستاذ صالح الأشتر	مشطور البسيط	مقيدة	الراء
413- 412	غار على أحسابه	الرجز	مقيدة ومطلقة	متنوع
414	عبد العزيز العلي المطوع	مجزوء الرجز	مطلقة	اللام

الجدول -1-

نتائج الإحصاء من خلال الجدول (1):

1_ الأبحر:

اسم البحر	عدد التجارب الشعرية	النسبة المئوية
الرجز	16	61,53%
البسيط	03	11,53%
الرمل	02	07,69%
الطويل	02	07,69%
السريع	01	03,84%
الخفيف	01	03,84%
المتقارب	01	03,84%

الجدول - أ -

نوعية البحر	عدد التجارب الشعرية	النسبة المئوية
البحر التامة	20	76,92%
البحر المجزوءة	04	15,38%
البحر المشطورة	02	07,69%

الجدول - ب -

2_ القوافي:

نوع القافية	عدد التجارب الشعرية	النسبة المئوية
المطلقة	12	46,15 %
المزدوجة	08	30,76 %
المقيدة	06	23,07 %

الجدول - ج -

أحرف الروي	عدد التجارب الشعرية	النسبة المئوية
المتنوعة	09	34,61 %
الراء	05	19,23 %
اللام	05	19,23 %
النون	03	11,53 %
السين	02	07,69 %
الباء	02	07,69 %

الجدول - د -

القافية	عدد التجارب الشعرية	النسبة المئوية
موحدة الروي	17	65,38 %
متنوعة الروي	09	34,61 %

الجدول - هـ -

الآن، وبعد كل هذه الجداول الإحصائية - مجملية ومفصلة - نحاول الخروج بأهم النتائج، مع تحليلها واستقراء دلالتها، ثم محاولة تفسيرها قدر المستطاع، وفق ما

توفر من معطيات.

2_ تحليل النتائج:

وتتمثل تلك النتائج في ما يأتي ذكره:

أولاً: بالنسبة إلى البحور:

ونتطرق إليها من خلال النقاط الآتية:

أ / بالنسبة إلى الشيوخ (الاستعمال والنسبة):

1- نظم البشير الإبراهيمي على سبعة بحور شعرية، وهي: الرجز، البسيط، الرمل، الطويل، السريع، الخفيف، المتقارب.

2- لم يستعمل تسعة بحور شعرية، وهي: الوافر، الكامل، المتدارك، المنسرح، المديد، الهزج، المضارع، المقتضب، المجتث.

والملاحظ على هذه الأبحر غير المستعملة أن الخمسة الأخيرة منها تأتي مجزوءة وجوبا في الاستعمال أو الواقع الشعري، وهو في هذه البحور الخمسة الأخيرة يجارى بعض القدامى من جاهلين وأمويين كجريس والفرزدق والأخطل، فقد اتفق هؤلاء على «إهمال جملة من البحور نذكر منها: المديد، الهزج، المضارع، المقتضب، المجتث، المتدارك، وهي البحور التي لم ينظم عليها الشعراء القدامى إلا ما ندر»⁽¹⁾، كما تكاد أشعار الجاهلين الواردة في الجمهرة تخلو من تلك الأوزان⁽²⁾.

⁽¹⁾ - ناصر، لوحيشي: أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، دكتوراه، مخطوط، إشراف الدكتور صلاح يوسف، عبد القادر، قسم اللغة العربية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2005م، ص: 41.

⁽²⁾ - إبراهيم، أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 1965، 3م، ص: 191.

3- تصدر بحر الرجز الريادة في أشعار محمد البشير الإبراهيمي، وجاء في المرتبة الأولى بنسبة مئوية تقدر بـ: 61,53 %، وهذه النسبة تجعله مختلفا ومتميزا عن عدة شعراء مجالين له من أمثال: محمد العيد آل خليفة الذي احتل المرتبة الأولى عنده بحر الكامل بنسبة مئوية تقدر بـ: 19,01⁽¹⁾ %، وكذلك محمد الشبوكي بنسبة مئوية تقدر بـ: 73,21⁽²⁾ %، وغيرهم من الشعراء الجزائريين القدامى والعرب⁽³⁾.

4 _ أتى البسيط في المرتبة الثانية بنسبة مئوية تقدر بـ: 11,53 %، ثم الرمل والطويل بنسبة تقدر بـ: 07,69 % لكل منهما، وجاء السريع والخفيف والمتقارب في المرتبة الأخيرة بتجربة شعرية لكل منهما ونسبة مئوية تقدر بـ: 03,84 % أيضا لكل واحد منهما.

وخلاصة ما سبق من النسب المئوية للأبحر التي استعملها محمد البشير الإبراهيمي، أنها جاءت مخالفة ومغايرة لبعض الشعراء الجزائريين المعاصرين له، وكذلك الشعراء العرب الذين يمثلون مدرسة الإحياء، وخصوصا في الريادة، فقد جاء الكامل في الريادة لهؤلاء، وأما الشاعر فقد جاء الرجز عنده في المرتبة الأولى، ولعل التفسير الأقرب للحقيقية في ذلك هو أن محمد البشير الإبراهيمي لم يكن شاعرا متفرغا للشعر فقط، إنما كان ناثرا أكثر منه شاعرا، كما سبق القول، هذا من جهة، أما

⁽¹⁾ - ناصر، لوحيشي: مجلة دراسات أدبية وإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، عدد 3، أفريل 2005، ص: 88.

⁽²⁾ - سمير، جريدي: مظاهر الإيقاع في شعر محمد الشبوكي الجزائري، ماجستير، مخطوط، إشراف الدكتور ناصر لوحيشي، قسم اللغة العربية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص: 123.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص ن.

شعر محمد البشير الإبراهيمي دراسة إيقاعية لغوية.....أ.سمير جريدي

الأسباب الأخرى لتفسير ذلك هو «أن الإبراهيمي كان يأتس كثيرا إلى الرجز، فغدا
يكثر من إنتاجه... وينافح عنه أحيانا»¹، حيث يقول: «وأكثر ما نظم أدباء العربية
الملاحم أو شبه الملاحم في بحر الرجز، وإني لأستعذبه رغما عن عد المعري إياه من
سفساف القريض، قصرتم أيها النفر فقصر بكم. وأنا لا أستعذب من الرجز إلا ما
سلس وسهلت أجزاؤه كرجز ابن الخطيب في "نظم الحلل" ورجز شوقي في "دول
الإسلام"، ولم أسمع ولا قرأت رجزا أعذب ولا أسلس من رجز الشناقطة»².

ويضاف إلى ذلك أنه «لعل لميل الإبراهيمي إلى الرجز باعثا أدبيا محضا، فهو رجل
بلاغة، يحفل فنه الثري بالصناعة اللفظية والإيقاع الموسيقي الدائم العذب، ومن ميزة
هذه الإيقاع أسلوب السجع الذي ظل يلاصق فنه الأدبي، فانتقل به إلى حقل الشعر،
وبحث له عن منفذ يدخل منه إلى القصيدة فوجد أمامه بحر الرجز مركبا سهلا، وأكثر
طواعية للتعبير واستعدادا لاختلاف القوافي عليه من بيت إلى بيت»³.

والذي يعود إلى أشعاره المختلفة في آثاره، يجد استخدام السجع واضحا جليا،
فأشطر الأبيات هي فواصل مسجوعة، إذا ما حولناها إلى نص نثري، والأمثلة على
ذلك واضحة وكثيرة، وهذا ما نجده في بعض تجاربه الشعرية التي نذكر بعض منها
على سبيل المثال لا الحصر:

إنّا إذا ما ليل نجد عسعسا وغربت هذى الجوّاري حُسنّا

¹ - محمد، عباس: البشير الإبراهيمي أدبيا، ص: 235.

² - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص ص: 149-150.

³ - محمد، عباس: البشير الإبراهيمي أدبيا، ص: 236.

و الصبح عن ضيائه تنفساً قمنا نؤدي الواجب المقدساً⁽¹⁾

فهذه الأبيات من بحر الرجز، وأشطرها إذا حولت إلى النثر، فهي في الأصل فواصل من السجع تؤدي المعنى دون خلل: إنا إذا ما ليل نجد عسعسا، وغربت هذى الجواري خنسا، والصبح عن ضيائه تنفسا، قمنا نؤدي الواجب المقدسا .

والشيء نفسه يقال مع القصيدة التي مطلعها:

قد كنتُ فيجن النشاط والأشُر كأنني خرجتُ عن طور البشر

و كنتُ نجديّ الهوى من الصغر أهيم في بدر الدجى إذا سفر⁽²⁾

فيمكن أن نُحول إلى قطعة نثرية مسجوعة باستبدال البياض أو الوقفة العروضية بعلامة الوقف ألا وهي الفاصلة (،): قد كنتُ حن النشاط والأشُر، كأنني خرجتُ عن طور البشر، وكنتُ نجدي الهوى من الصغر، أهيم في بدر الدجى إذا سفر.

ب - بالنسبة إلى التهام والجزء:

وأما من الناحية الكمية للبحور فقد لوحظ ما يأتي:

مثلت البحور التامة في البحور الشعرية للبشير الإبراهيمي نسبة مئوية قدرت بـ: 76,92 %، أي حوالي 3/4، بينما مثلت البحور المجزوءة أو القصيرة على حد تعبير إبراهيم أنيس⁽³⁾، نسبة: 15,38 %، بينما مثلت المشطورة نسبة: 07,69 %.

ومعنى هذا أن محمد البشير الإبراهيمي يميل إلى استعمال البحور تامة أكثر من استعمالها مجزوءة أو مشطورة.

⁽¹⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص: 126.

⁽²⁾ - المصدر السابق، محمد البشير، الإبراهيمي، ج4، ص: 131.

⁽³⁾ - يراجع: إبراهيم، أنيس: موسيقى الشعر، ص: 106.

وكما ذكرنا سابقاً فالأبعر المجرؤة وجوباً في الاستعمال الشعري غير موجودة، بل المجرؤة الواردة هنا هي التي يمكن أن ترد تامة ، وهي الرجز والرمل. وأما عن سبب استعمال الشاعر لمجرؤ الرجز، فيبدو أنه راجع إلى أن هذا البحر شائع الاستعمال عنده وترسخ في ذهنه كما سبق ذكره، فإذا أراد نظم الشعر حضره هذه الوزن، فاستعمله مجزؤاً حتى لا يلجأ إلى الحشو عندما يتسع الوزن ويفضل عن مقدار الحشو، والشئ نفسه يقال مع التجارب ذات الأبعر المشطورة.

ثانياً: بالنسبة إلى القوافي:

ونتائج الإحصاء ما يأتي:

أ / بالنسبة إلى التقييد والإطلاق:

وما يلاحظ على نسب أنواع القوافي هو أن المطلقة قد احتلت الصدارة في أشعار محمد البشير الإبراهيمي بنسبة مئوية تقدر بـ: 46,15%، تليها المزدوجة بالنسبة المئوية تقدر بـ: 30,76%، تليها في الأخير المقيدة بنسبة مئوية تقدر بـ: 23,07%. وتعود الرتبة الأولى للقوافي المطلقة إلى أن «الشعر القديم» العمودي [يحرك الروي أو بعبارة أخرى يجعل القافية مطلقة إلا في القليل النادر»¹، وأما نوع القوافي المقيدة فيحتل المرتبة الأخيرة، وهو «قليل الشيوخ في الشعر العربي لا يكاد يجاوز 10%، وهو في شعر الجاهليين أقل منه في شعر العباسيين»².

إن محمد البشير الإبراهيمي يميل إلى الإطلاق دون التقييد، ويبدو أنه في هذا _

¹ - علي، يونس: النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، مصر، ص: 176.

² - إبراهيم، أنيس: موسيقى الشعر، ص: 260.

رغم اختلاف النسب _ متأثر بالشعر العربي القديم والحديث الذي ينهج نهج القدماء في هذه القضية.

ب / بالنسبة إلى حروف الروي:

ب1- الأحرف المستعملة رويًا:

لقد لاحظنا بخصوص الأحرف الواردة رويًا للتجارب الشعرية، أنه لم يحتل أي حرف من الحروف الهجائية رتبة الصدارة في مجيئه رويًا في شعر محمد البشير الإبراهيمي، بل كانت الصدارة لأحرف متعددة مع بعضها داخل القصيدة الواحدة، وهذه الحروف هي: الراء، السين، الميم، اللام، الباء، العين،...، وكانت هذه الصدارة بتسع تجارب شعرية من أصل ست وعشرين تجربة شعرية، أي بنسبة مئوية قدرت بـ: 34,61%.

وأما الأحرف الهجائية الأخرى التي استعملت رويًا في القصائد الأخرى من البداية إلى النهاية فقد كانت نسبها كالتالي:

_ الراء واللام في المرتبة الثانية بنسبة 19,23% لكل منهما.

_ النون في المرتبة الثالثة بنسبة 11,53%.

_ السين والباء في المرتبة الرابعة بنسبة 07,69% لكل منهما.

وأما تفسير مرتبة الصدارة للحروف الواردة رويًا، وهي التي احتلها أحرف متعددة دون حرف واحد، فيعود إلى طبيعة البحر المستعمل بشكل كبير، وهو الرجز «الذي يعتمد فيه الشاعر على تصريح أبيات القصيدة جميعاً، فقفافية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني، وأميز ما يكون ذلك في الأراجيز»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - إميل، بديع يعقوب: المعجم المفصل في علمي العروض والقوافي، دار الكتب العلمية، بيروت،

ويمكن أن نمثل لذلك بقول الشاعر _ والأمثلة كثيرة _:

معلولة الآراء والأنظار عارية السوءات للنظار

جانبت الحقائق الملموسة وجافت الوقائع المحسوسة

ضمناها أحكامه على الأمم تباً له من حاكم ومن حكم⁽¹⁾

ونجد ذلك -أيضاً- في تجربته الشعرية المسماة "رواية الثلاثة"⁽²⁾ التي مطلعها:

إلى الفتى عبد الحفيظ الجنان أدامه المولى الحفيظ المتان

وينضاف إلى الصيغة الشعرية السابقة، نجد التعدد في الروي في الصيغ

الشعرية الآتية:

•المربعات:

وفي هذه الصيغة يقسم «الشاعر قصيدته إلى أقسام يتضمن كل قسم منها أربعة

أشطر، ويراعي الشاعر في هذه الأشطر نظاماً ما للقافية»⁽³⁾.

وما يوجد في شعر البشير الإبراهيمي هذا النوع: «الذي يمكن أن يُرمز له: أأأأ-

ب ب ب أ، ج ج ج أ، وهكذا، أي أن قافية الشطر الرابع تتكرر هي بعينها مع كل

قسمين من أقسام المربعات»⁽⁴⁾.

لبنان، ط1، 1991م، ص: 287.

⁽¹⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص: 413.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ج2، ص: من 65 إلى 101.

⁽³⁾ - إبراهيم، أنيس: موسيقى الشعر، ص: 283.

⁽⁴⁾ - المرجع السابق، إبراهيم أنيس، ص: 284-285.

وهذا النوع نجده في التجربة الشعرية المعنونة بـ: " غار على أحسابه"⁽¹⁾.

والتي نذكر منها بعض الأبيات للتمثيل:

غار على أحسابه أن تمتهنُ حر على مجد الحدود مؤتمنُ
فما ونى في حفظه ولا وهنُ سيف من الرحمن مطرور الشبا

...

بيّضت وجه العُرب في المجمع أبلغت صوتهم إلى المسامع
فخاب كل طامع وطامع وغضّ من سوره وكتأبأ

فالملاحظ في هذه المربعات أن حرف الباء وهو قافية الشطر الرابع يتكرر في كل المربعات الأولى والثانية المذكورة أعلاه، وكذلك في القصيدة كلها. والشاعر في هذه القصيدة بنظام تقفيته يشبه نشيد " جزائرينا " للشاعر محمد الشبوكي الذي مطلعته:

جزائرينا يا بلاد الحدود نهضنا نحطم عنك القيود
ففيك برغم العدا سنسود ونعصف بالظلم والظالمين⁽²⁾

•المخمسات:

وفي هذه الصيغة يقسم «الشاعر قصيدته إلى أقسام يتضمن كل منها خمسة أشطر، مع مراعاة نظام ما للقافية في هذه الأشطر»⁽³⁾.

والذي يوجد في شعر محمد البشير الإبراهيمي، هو النوع الذي تكون قافيته

⁽¹⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص ص: 412-413.

⁽²⁾ - محمد، الشبوكي: ديوان الشيخ الشبوكي، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م، ص: 60.

⁽³⁾ - إميل، بديع يعقوب: المعجم المفصل في علمي العروض والقوافي، ص: 287.

كالآتي:

أأأأأ، أأأأأ، ج ج ج ج ج أ، وهكذا⁽¹⁾، أي أن قافية الشطر الخامس هي نفسها في كل الخمسات.

وهذا النوع نجده في قصيدته المعنونة بـ "كلية الأعظمي"⁽²⁾ ومطلعها:

غيري تراه قانعا غير ظمي للعمل المرتب المنظم
أما أنا فلو هشمت أعظمي لم أستسغ صنع أخينا الأعظمي
ومن يسبغ خردلا بالخل؟

يا عبرة غطت على كل العبر المبتدأ من فعله صار الخبر
ولو جرت أحكامه على الإبر صيرها مثل الصواري في الكبر
وقال للناس أقعدوا في الظل

فالملاحظ على هذه الخمسات أن قافية الشطر الخامس هي نفسها في كل القصيدة، قافية الأشر الأربعة هي نفسها في كل خمسة.

ب2_ التنوع في الروي أو التوحد:

لقد احتلت التجارب الشعرية الموحدة الروي المرتبة الأولى بعدد يقدر بـ: 17 تجربة من أصل 26، وهو ما يعادل نسبة مئوية بـ 65,38%، تليها التجارب المتنوعة الروي بنسبة مئوية تقدر بـ: 34,62%.

أي أن الشاعر أميل إلى توحيد أحرف الروي أكثر من الميل إلى تنويعها، وقد لاحظنا هذا حتى في القصائد التي نظمت على وزن الرجز، الذي يتيح للشاعر أن

⁽¹⁾ - يراجع: إبراهيم، أنيس: موسيقى الشعر، ص: 286.

⁽²⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص: 402.

شعر محمد البشير الإبراهيمي دراسة إيقاعية لغوية.....أ.سمير جريدي

يجعل كل بيت مستقل بقافيته، وهذا ما يدل على ثراء القاموس اللغوي للشاعر، ونجد هذا مثلاً في قصيدته " إلى علماء نجد"¹، فرغم أنها من بحر الرجز الذي تفعيلاته هي: مستفععلن مستفععلن مستفععلن- مستفععلن مستفععلن مستفععل²، فإن حروف الروي فيها واحد من البداية إلى النهاية وهو حرف السين، وهذا مطلعها:

إنّا إذا ما ليل نجد عسعسا وغربت هذي الجواري خنّسا

والصبح عن ضيائه تنفسا قمنا نؤدي الواجب المقدّسا

ويستمر الشاعر في استعمال حرف السين إلى غاية نهاية القصيدة التي يقدر عدد أبياتها بثلاث وسبعين بيتاً.

ونجد الشيء نفسه في قصيدته المعنونة بـ "تعليم البنت"³، التي جعل حرف رويها هو الراء من البداية إلى النهاية.

II_ اللغة:

تعد اللغة عنصراً مهماً في الأدب، ولا أدب بدونها، فهي الأداة التي يعبر بها الشاعر عن الأفكار وكل ما يجول بخاطره، وبواسطتها يملأ القوالب الشعرية (البحور)، وتحدد القوافي بحروفها، ويبدع الصورة الشعرية، ويستعمل الرمز وغيره...، إذن «فهي أداة تلك الأدوات الفنية المتعددة»⁴،

¹ - المصدر نفسه، ج4، ص: من 126 إلى 130.

² - ناصر، لوحيشي: الميسر في العروض والقافية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص: 99.

³ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص: من 131 إلى 134.

⁴ - يحيى، الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا- دراسة فنية تحليلية، دار البعث، قسنطينة،

شعر محمد البشير الإبراهيمي دراسة إيقاعية لغوية.....أ.سمير جريدي

وهي-أيضا-«مجموعة ألفاظ تحمل خصائص يمكن أن تتغير من شاعر إلى آخر»⁽¹⁾، ونحن نحاول أن نبحت فيها عند الشاعر محمد البشير الإبراهيمي، و قد تميزت عنده - إجمالا - ببعض الخصائص نذكر منها:

أ- الاقتباس من القرآن:

إن القارئ لشعر محمد البشير الإبراهيمي، ينتبه وبكل سهولة إلى كثرة الاقتباس من القرآن الكريم، ذلك أن ألفاظه واضحة جلية، وتظهر في عدة أبيات، والشواهد على ذلك كثيرة، نمثل لبعضها فيه يأتي من الأشعار:

ضمنها أحكامها على الأمم تبّاه من حاكم وما حكم⁽²⁾
فلفظ "تبّاه" مقتبس من قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾⁽³⁾.
وقوله:

ومن أصاب منهم أوصيا وكان يوم الملتقى عصيبا⁽⁴⁾
فكلمة "عصيبا" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿و لما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب﴾⁽⁵⁾.
وحين يقول الشاعر:

الجزائر، ط1987، 1م، ص: 363.

(1) - المرجع نفسه، ص ن.

(2) - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص: 413.

(3) - سورة المسد، الآية: 01.

(4) - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص: 414.

(5) - سورة هود، الآية: 77.

مستكلب يضمّر للإسلام ما يضمّر المسلم للأزلام⁽¹⁾.

فإنه يقتبس كلمة "الأزلام" من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾⁽²⁾.
وقوله:

استضعفوه واستخفوا شأنهم وأبسوهم ضلة ما شأنهم⁽³⁾

سحروا أعينهم واسترهبوا ورغبوا بعاجل ورهبوا⁽⁴⁾

فجملة "استضعفوه" مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾⁽⁵⁾، وأما حين يقول "سحروا أعينهم" فهو يقتبسها من قوله تعالى: ﴿قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾⁽⁶⁾.

وحين يقول محمد البشير الإبراهيمي:

إلاهي يا مستجيب الدعا ويا جالب اليسر للمعسر

فما العسر إلا ريب الحلال وما اليسر إلا من الميسر⁽⁷⁾

فكلمتا "اليسر" و"العسر" إنما اقتبسها من قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا، إن

⁽¹⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص: 414.

⁽²⁾ - سورة المائدة، الآية: 90.

⁽³⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص: 151.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ص ن.

⁽⁵⁾ - سورة القصص، الآية: 05.

⁽⁶⁾ - سورة الأعراف، الآية: 116.

⁽⁷⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص: 279.

مع العسر يسرا⁽¹⁾.

ونكتفي نحن بهذا القدر من التمثيل لاقتباس الإبراهيمي من القرآن الكريم،
تفاديا للإطالة، لأننا نمثل فقط، ولا نحصر، ونعتقد أن ما أوردناه كاف للتدليل على
ما ذهبنا إليه.

ب - الفصاحة:

إن المقصود بكلمة الفصاحة هنا، المعنى المضاد للفظة العامية، والعائد لشعر
محمد البشير الإبراهيمي يجد أنه يستعمل الكلمات العربية الفصيحة، فهو «لم يكن في
يوم ما مؤيدا لاستعمال العامية في العمل الأدبي»⁽²⁾.

وهذا الحكم غالب طاغ جلي، لأنه هناك استثناء بسيط، لا يكاد يذكر أو يؤثر
فيما ذهبنا إليه، و هو أن الإبراهيمي قد استعمل في مواضيع قليلة جدا، بعض
المفردات العامية في الحوار الذي أجراه على لسان شخصيات "رواية الثلاثة"، ومن
ذلك قوله: ويسملا وكبرا وحوقلا والتزما الصمت ولا (تشقللا)⁽³⁾

فكلمة (تشقللا) كلمة عامية جزائرية معناها لا تثرثرا.

وقوله - أيضا -:

فإن عرضت صورة فقلت (وي) وقلتما مثلي فرأي مستوي

وإن أباهما صاحبي فقال (نو) فبيننا فيها خلاف معلن⁽⁴⁾

⁽¹⁾ - سورة الانشراح، الآيتان: 5 و6.

⁽²⁾ - محمد، عباس: الإبراهيمي أدبيا، ص: 306.

⁽³⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص: 66.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ص 76.

فكلمتا "وي" و"نو" كلمتان فرنسيتان الأولى معناها نعم، والأخرى معناها لا، ولا شك أن الشاعر «يستعمل هذين اللفظتين من أجل المزاح والسخرية والمداعبة، وإن كانتا تحملان في مضمونهما بعدا سياسيا عرفه المجتمع الجزائري عادة الحكم الفرنسي، وأيام تسلطه على الانتخابات المغرضة والمزيفة، فتولدت هاتان اللفظتان شعارا لهذه الانتخابات إحداهما تنطق بالتأييد والأخرى بالرفض، واشتهر الأسلوبان في البيئة الجزائرية بلفظيهما الأجنيين كما فرضتهما السلطة الاستعمارية»⁽¹⁾.

والواضح من استعمال الإبراهيمي لهاتين اللفظتين أن هدفه، هو توجيه نقد لاذع للوضع السياسي الاجتماعي⁽²⁾، السائد آنذاك، خصوصا في زمن الحرب العالمية الثانية التي أُلِفَ فيها هذه الرواية.

والإبراهيمي لم يستعمل هاتين الكلمتين الفرنسيتين الأصل _وغيرهما_ إلا عندما أصبحتا عاميتين جزائريتين في استعمالهما، أي أنه لم يأخذهما على أساس أنهما فرنسيتان، وإنما باعتبارهما لغة دارجة شاعت على لسان العموم من الجزائريين. ونؤكد من جهة أخرى أن استعماله لهاتين الكلمتين لم يكن بدافع الحاجة فالعربية الفصحى لا تعدم مقابلهما، وإنما لواقعيتها واقترابها من عموم الشعب الجزائري، فيكون المعنى المراد إيصاله أوضح وأعمق.

كما استعمل في "رواية الثلاثة" بعض الكلمات العامية الأخرى.

⁽¹⁾ - محمد، عباس: الإبراهيمي أدبيا، ص: 306.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص: 307.

ج_ الألفة والغرابة:

تميزت لغة الإبراهيمي في أشعاره بالمزاوجة بين الألفة والغرابة باستعمال الألفاظ، فهناك من يدرك معناه بسهولة ويسر، وهناك مثلاً يفهم معناه وهو غير شائع إلا بالعودة إلى القواميس، وما يؤكد ذلك أن العائد لشعره يجد كثيراً من الكلمات، وقد شرحت ووضع معناها في الهامش، ولعل ما يؤكد وجود كلمات غريبة غير شائعة الاستعمال، هو ما يقرره الإبراهيمي نفسه حين يقول عن روايته: «وفيها طائفة من الألفاظ الغريبة، التي لم يألف الكتاب والشعراء استخدامها»⁽¹⁾.

ويبدو أن تميز ألفاظ الإبراهيمي بما سبق ذكره يعود إلى أهداف يريد تحقيقها، لعل أظهرها العمل على استعمال بعض الألفاظ العربية المهجورة والتعريف بها لدى الأدباء.

د- شيوع أسماء الأعلام:

وهذه ظاهرة جلية وواضحة، فالعائد إلى شعره يجد ورود أسماء كثيرة من الأنبياء عليهم السلام، وهذا ما نجده في قوله:

بعض الذي أورثنا الخليل ونسله المبارك الخليل

وهل لكم ما شاد إسرائيل وما بنى للحق إسماعيل⁽²⁾

فالخليل هو النبي إبراهيم عليه السلام، وكذلك إسرائيل وإسماعيل عليهم

⁽¹⁾ - محمد البشير، الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص: 64.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ج1، ص: 413.

ومن بين الأعلام نجد بعض أبطال التاريخ الإسلامي، مثل القائد صلاح الدين الأيوبي، إذ يقول الإبراهيمي:

يا كيداً كادوا لهذا الدين محتاجة لولا صلاح الدين

ووقعة بالسهل من حطين دماؤهم في شربها كالطين¹

كما نجد حديثه عن بعض الصحابة رضوان الله _ عنهم _، كالزبير بن العوام والمقداد:

كانهم في الرأي والإعداد من عصابة الزبير والمقداد²

ويذكر _ أيضا _ الإمام الأشعري _ رحمه الله _، بقوله:

فإنك يا خالقي عالم بأنّي على مذهب الأشعري³

وكثير من الأعلام المسلمين موجود في شعره شائع، وهذا دليل ثقافة تاريخية عربية إسلامية واسعة وواعية يتمتع بها محمد البشير الإبراهيمي.

الخاتمة:

ذاك، إذا، هو محمد البشير الإبراهيمي الشاعر، الذي كان مقلا في شعره، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة شخصيته وحياته التي لم تساعده على نظم الشعر.

¹ - المصدر السابق، محمد البشير، الإبراهيمي، ج2، ص: 150.

² - المصدر نفسه، ج2، ص: 151.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص: 279.

وقد نظم على بعض البحور، ولم يستعمل أخرى، وجاءت نسبة شيوعها مختلفة مع بعض الشعراء الجزائريين المجالدين له، وأما القدماء فكانت هذه النسبة مختلفة معهم أحيانا، ومتفقة أحيانا أخرى، حيث احتل الرجز عنده المرتبة الأولى، واحتلت بحور أخرى عند غيره المراتب الأولى، مثل: الكامل والرمل والطويل والخفيف، وظهر لنا من خلال البحث أن غلبة الرجز لدى الإبراهيمي عائد إلى أنه وجده القلب المناسب الذي يصب فيه مشاعره دون قيود تفرضها بقية الأوزان الأخرى، وخصوصا فيما يتعلق بوحدة الروي، وإلى السجع الذي يحفل به أسلوبه في النشر.

وأما فيما يخص القافية فقد غلب الإطلاق على قوافيه، وهو بذلك مشابه للقدماء، وجاءت القوافي الموحدة الروي بنسب غالبية في شعره، وأحيانا جاءت متنوعة الروي، ولكن بنسب أقل، كان هذا التنوع فيما سمي بالشعر المشطور بأقسامه: المزدوج والمربع والخمّس.

وأما لغته الشعرية فجاءت فصيحة إذا ما استثنينا بعض الألفاظ العامية القليلة جدا، والتي وردت في روايته الشعرية، وهذه الألفاظ وإن كانت أجنبية في أصلها، فهو استعملها على أساس أنها عامية عربية شائعة على لسان الجزائريين، ولأنها ذات دلالات مشحونة اكتسبتها من البيئة والاستعمال اليومي، وليس لانعدام ما يقابلها في اللغة العربية.

كما تميزت بالاعتباس من القرآن الكريم، ولا ضير في ذلك، فالإبراهيمي كان

شعر محمد البشير الإبراهيمي دراسة إيقاعية لغوية.....أ.سمير جريدي

يحفظ القرآن وهو ابن تسع سنوات، وهو النموذج الأعلى الذي يحاول احتذائه الأدباء والنسج على منواله، وإضافة إلى ذلك وذلك فقد شاعت فيها أسماء الأعلام المسلمين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وتراوحت هذه اللغة - في ألفاظها - بين الألفة والغرابة التي تتطلب العودة إلى القاموس لفهم معانيها.